

.. عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد ...

يظل هذا البيت للشاعر العربي ، أبي الطيب المتنبي ، هو الملائم لمن أراد ان يعبر عن العيد تعبيراً دقيقاً عن حالته ، فهو التعبير الأبلغ والماذق إن لم يكن الأوحده ، لكل من كانت الماقدار حائلاً بينه وبين انسانيته وارضه وثقافته ، وفي مقدمتهم الوطن والماحباب جميعاً ، والانسان المارتري كغيره من الماذين كتب عليهم المبعده عن الماحباب والوطن ، يمكن ان يكون بيت المتنبي احدى زفرائه الحرى والماصدق في وصف حالته لذا اخترتها ممدخلاً لهذا المقال .

العيد فرصة وحيدة لمتابعة المتلفزيون الوطني

وبالرغم من ان المبعده عن الأوطان والماحباب أصبح امر طبيعياً عند الكثيرين من الماشر لأسباب كثيرة ، فنحن المارتريين منا من دفعته المخدمه الوطنية التي ليس لها أمد محدد للهجرة ، ومنا من دفعهم المقمع والتنكيل بالحديد والناار ، عليه تظل حالة الغربية عند الانسان المارتري هي الحالة المفريده والمأكثر مرارة وإيلاماً ، ولمفارقة بسيطة جداً ، حيث يلون كل الممغتربيين في بلاد الممهجر الى الماخذيف عن آلام الغربية وواجعها ، خاصة أيام العيد باتكائه على شاشة المتلفزيون القومي لأوطانهم ، الذي يعرض ويقدم في العيد افراح الماهل والماحباب بمختلف ثقافاتهم وعاداتهم ، فيجد الممغترب فرحة العيد في عيون الماهل والماحباب داخل الوطن في المتلفزيون الوطني ، ويستشعر فرحة العيد هناك وترضف روحه ونفسه في سموات الوطن وتطوف حول الماين والمقرى والمازياف والمعالن العامة ، وكأنه بين اهله وأحبابه ، إلا أن هذا الامر يختلف عند الانسان المارتري الذي ضاقت به ارض الوطن فهاجر هجرة الماضطر فاراً بجلده ، لكن يظل الوطن هو الملائم ، وكغيره من الماشرين ، يحاول ان يباحث عن فرحة العيد في شاشة المتلفزيون القومي لبلاده ، لكنه يخرج بخيبة امل كبيرة ، كان الأفضل ان يباحث عن فرحة عيده بعيداً عن هذا الكابوس الذي ظل يطارده ، فبعده ان أضطر الى الهجرة ، يجد ان ثقافته وعاداته هي الأخرى تم اقصادؤها فما عاد العيد في بلاده العيد الذي يعرفه ويحسه في عيون الماهل والماحباب .

تلفزيون النظام : تكريس للثقافة الأحادية حتى أيام العيد

تلك المقدمة الطويلة هي حالة من الإحباط التي أصابتنى وربما الكثيرين من أبناء الوطن الممفترى عليه من شردمة من بغاا وبغاة القوم ، فبينما انا اتجول إذا بي ابدا بشاشة الوطن لأحس بطعم العيد في عيون احبابي واهلي وليتنى لم افعل ، فلم اجد ما يعبر عن العيد ولما عن الشعوب والقوميات وقطاع عريض من اهل الثقافة الإسلامية في يوم عيدها ، اختزال العيد في كتابة عنوان البرنامج ولكن المحتوى الحقيقي للبرامج هو شعار كبير لهوية غائبة تم طمسها وعادات وتقاليدها أبعدت وتم اقصادؤها على ذات النسق الذي ابعد بها أصحابها ، وهي لعمري ضيق أفق و تطرف واضح ومنهجية صريحة من الطاغية وزمرته ، في طمس الهوية واقصاء وابعاد للثقافة الماخرى التي تعتبر أكبر مكون للشعب المارتري ، ورغم كل ذلك تجد من يقول لك ما هو إلا نظام دكتاتوري تسلط على رقاب الشعب المارتري دون تمييز او تضريق ، لكن ممكن ان نقول ان ضرره طال الجميع مع الماأكيد بان له اهداف واستهداف واضح لفئة بعينها وبصورة مختلفة وصارخة .

من خلال المتابعة والمشااهدة على الشاشة البلورية للمتلفزيون المارتري ، في أيام عيد الفطر المبارك تأكد لي بما لنا يدع مجال للشك

بأن النظام استمرراً المظلم وتجلة أهدافه بصورة واضحة ليست فيها شوائب .

وكما هو معروف أن الشعب المارتري ، شعب متعدد الأعراق والقوميات به أكثر من 9 قوميات رئيسية ، وتبعاً لذلك تتعدد الثقافات واللغات والعادات والتقاليد التي تذخر بالقيم الماصيلة ، وهو ما يظهر من خلال آدابها وفنونها كالشعر والغناء والرقص، تعكس تعدده وتنوعه ، وبالرغم ما تعرضت له هذه الموروثات في فترات الاستعمار لبعض التشويهات بنظرية المستعمر المعروفة "فرق تسد" ، إلا ان ما تعرضت له هذه القيم والموروثات المارتريية من تشويه وتذويب في عهد النظام الحالي هي الأكبر و المامر والأخطر اثراً على وحدة الشعب المارتري ، بفعل التشويه والإهمال والاقصاء المتعمد بل والممنهج وهو ما عكسته شاشة التلفزيون خلال عيد الفطر المبارك بالرغم من ان أية لغة ارتيرية ليست اقل شأننا فيما تحمله من الآداب والفنون من تلك التي يراود لها أن تسود بإقصاء الآخر ومحاربتة بلا هوادة .

لكن يظل المامل معقوداً على وعي الشعب المارتري ، الذي حافظ على وحدته ، وظلت ثقافته وعاداته شامخة واستعصت على كل أسباب المحو والازالة والتذويب من قبل المستعمر ، سيحافظ كذلك بذات القوى على المحاولات اليائسة والبيئية من قبل نظام افورقي والعصابة التي من حوله ، والتي تهدف بلا شك إلى تغيير الخارطة الديمغرافية ، وهو ما يعبر عنه اعلامهم وما استفزني لأن اكتب هذه المقالة التي تتقطر الما في أيام العيد والفرح الذي كان ينبغي أن تكون الكتابة فيه بطعم الما فرح والماعيد

ولم يكن المامر مستغرباً ، من نظام تصدر قائمة انتهاك حقوق الانسان وتربع على رأس قائمة من أسوء المسجلات على مستوى العالم ، وهو ما أكدته تقارير منظمات حقوقية أممية وقارية عديدة إلى انتهاكات جسيمة لحقوق الانسان ترتكبها السلطات المارتريية ومن ضمن هذه الحقوق الأساسية حرية التعبير .

جهود النظام في إخفاء أهدافه تكشفها نظرية نفي النفي اثبات

بذات النظرية التي تقول ان نفي النفي اثبات ، فان الجبهة الشعبية الحاكمة في ارتريا والتي اختزلت في مجموعة مغتصبة ، ظلت منذ بداية تأسيسها وحتى اليوم بعد 27 عاماً من الاستقلال ، تصرح مراراً وتؤكد من خلال مختلف منابرها الاعلامية مع قلتها أنها تحترم حرية التعبير والتدين ، ولعل آخرها تصريح لوزير الاعلام ، يمانى قيرمسقل ، قبل شهرين ، أكد فيه أن الحكومة حريصة على احترام الدين و حرية التعبير و بناء المعابد و الكنائس و المساجد ، و ربما كان رداً على تقرير للأمم المتحدة انتقدت فيه اعتقال الحكومة المارتريية لمئات الماشخاص منهم قصر لمشاركتهم في تشييع الشيخ الشهيد موسى محمد نور ، الذي توفى في المعتقل الذي دخله في أكتوبر الماضي ، مدافعا عن عقيدته وقيمه الإسلامية .

لكن تظل تصريحات النظام بوجود حرية تعبد واحترام للأديان والحفاظ على الهوية ، ماهي إلا عملية نفي لما هو مثبت بالتقارير والمشاهد ، في أن هذه القضايا من اكثر المبادئ التي انتهكتها السلطات في أسمرأ ، وان أغلب المعتقلين المقابعين في السجون هم ممن تم اعتقالهم على الهوية بسبب المزي أو المظهر الديني أو بتهمة الانتماء إلى تنظيم سياسي ، فضلا عن ممارسات الحكومة المكشوفة في تضيق فرص التعليم الديني ، واللغة العربية التي تمثل رمزية ولغة رسمية لأرتريا بجانب اللغة التجريينية ، من خلال إغلاق المدارس والمعاهد الدينية والمدارس العربية ، والزوج بمعلميها في المعتقلات المجهولة منذ مطلع العام 1994 ، آخرها العملية التي طالت معلمي وطلاب مدرسة الضياء الإسلامية في أكتوبر الماضي ، وما يؤكد بانها خطة ومنهجية من النظام أن كل ذلك كان يتم من خلال دار الافتاء المارتريية ، كما ان الحكومة منذ بدايتها لم تسمح ببث أي برامج دينية عبر الماداعة أو التلفزيون بحجة الحفاظ على الحيادية

وعدم إقحام الدين باستثناء الماعباد التي يعرضها التلفزيون الرسمي ، لكن هي الأخرى طالتها عملية الاقصاء وأصبحت مبتذلة ولما تحمل تعبير حقيقي ، بل ذهب لأبعد من ذلك في أن جعلت منها فرصة للتغيير بصورة مشوهة وغير لائقة ، من خلال بث ونشر عادات وتقاليد لها علاقة لها بالمناسبات الدينية من خلال التلفزيون و الإذاعة .

منهج النظام في الاقصاء كان واضحا لكننا قوم لا نذكرك إلا مؤخرًا

أذكر عندما كان يتعلل العاملون في الأقسام العربية بكل من التلفزيون والإذاعة والجريدة الميتمية ، مطلع التسعينيات بانهم يواجهون تضيق وتهميش من قبل وزارة الاعلام ، كان الناس تعتبرها نوع من الهروب من إعطاء دور فاعل ، بل كنا نعد ذلك قصورا في إمكانياتهم ، لكنها الحقيقة التي ظللنا نبتعد عن مواجهتها في أن النظام له منهجية ورؤية واضحة في ابعاد العربية والإسلامية عن دائرة الضوء والتأثير في المحيط المارتري الذي يريده النظام خالصا من أي شوائب تحمل الجينات الإسلامية والعربية ، فكان يعتمد عدم تأهيلهم وتدريبهم بل سعت إدارة الاعلام الى تخفيف هذا المنبع ، فعمدت الى الايقاف والاعتقالات بمبررات لا صلة لها بالاعلام الوطني ، كإيقاف مذيعات في التلفزيون بسبب إصرارهن في تقديم النشرات وهن يرتدين "الحجاب" ، بل ذهب النظام الى الاغتياالمات المدروسة والدقيقة والمكشوفة للكوادر الطليعة في اللغة العربية ولم يشفع لها انها كانت في ساحات النضال ، لأمر بسيط ان دورهم قد انتهى حيث كانوا من اقوى المؤثرات في التحاق أبناء المسلمين والمناطقين بالعربية بصفوف الثورة وقتها .

خلاصة الامر لم يتبقى لنا سوى ان نقول ، اننا امام مفترق طرق ، يحتاج الى شيء من الحصافة في اسراع الخطى نحو التغيير الحتمي ، لعصابة أفسدت الحرث والنسل ، وعكست القناة المارتريية كل ما يحمله هذه النظام من رؤية اقصائية وتكريس لثقافة أحادية ، و انفردت بساحة الاعلام المارتري بعد ان اغلق النظام الفضاء على أي اعلام مستقل ، وبالرغم من ضحالتها وعدم موضوعيتها في كثير من مما تطرحه وتقدمه ، إلا انها تمثل اقوى وأوضح الأدوات في ما تحمله جعبة النظام من اهداف هدامة للنسيج الاجتماعي في البلاد ، وليكن هذا المقال نداء للشعب المارتري الى مقاطعة الاعلام ولما سيما القناة ، وعدم دفع الضرائب ، خاصة ضريبة 2% الخاصة بالمغتربين ، حتى لا نكون بمن صدق عليهم القول في ان النظام الديكتاتوري يحاربنا ويقضي علينا بأموالنا ، فقاطعوا نظام أساس افورقي ووسائله ، وذلك أضعف الايمان وكل عام والجميع في وطن يسع الجميع ليس في ارضه التي تمتد عطاءا وقمحا ، ولكن يسع الجميع في ممارسة حقوقه التي كفلتها له القوانين السماوية والارضية .